

مقدمة

الطبعة الثانية

بقلم الامير شكيب ارسلان

ظهرت ترجمة هذا الكتاب الى العربية مع حواشيه سنة ١٣٤٣ هجرية وفق سنة ١٩٢٥ ميلادية ، فانتشرت في جميع العالم العربي انتشاراً عجيبياً ، ولم يرض على طبع الكتاب أربع أو خمس سنوات ، حتى نفدت نسخه بأجمعها ، وصارت تؤدّي على النسخة الواحدة أضعاف قيمتها الأصلية ولا ينزل عنها مالكمها . ولقد نسّدوا في مصر ألف نسخة برسم المدارس ، فلم يجدوا ولا عشر نسخ . وعليه تقدم أناس يريدوننا على تجديد طبعه ، وتعميم نفعه ، فبادرنا الى الاجابة ووجدنا في ذلك عين الصواب وبعد الأخذ والرد قسم الله للسادة الأماثل عيسى افندي البابی الحلبي وشركائه القيام بهذه النفحة الجديدة للعالم الاسلامي والطرفة النفيسة للحقيقة والعلم

ولما كان قد مضى على الطبعة الأولى سبع سنوات تامات ، جرى خلالها حوادث ومهمات ، ووقائع هامات ، وحصل مايسوء ومايسر ، وطراً ما هو حلو وما هو مرّ ، وبالأجل تجددت قضاياهم التاريخ العام ، فضلاً عن تاريخ الاسلام ، وذلك لأن الحرب العامة كانت أشبه بزلزال جيولوجي عام ، كاد يأتى الأرض من قواعدها ، فكثرت على أثرها الانقلابات والتحولات ، وازدادت قابلية الأمم للتأثرات ، وتمّ في هذه السنين السبع بين طبعي الكتاب الأولى والثانية ما لا يحصل أكثر منه في الحقب الطوال ، كان لا مندوحة لنا عن مراجعة النظر في الحواشي التي علقناها على الكتاب أول مرة ، لنضم اليها ما جدّ من الوقائع التي جرت خلال هذه الأعوام ، الأخيرة ونردف الأول بالآخر ، والأصل بالفرع ، وتكون الحواشي التي توخينا تعليقها على موضوع موضوع من مباحث العلامة ستودارد قد جاءت بتمام البحث ، ووفت بالغرض ، ونقعت الغلّة ، ولم تبق في النفس حاجة ، وأنت بصورة الوقائع متسلسلة من الأول الى هذه الساعة . ثم انه لم ينحصر الأمر في سرد الوقائع ، ولا في تقييد

ما تجد في هذه الاعوام الأخيرة من الحوادث ، بل تعداه الى اكمال مباحث كان ضيق الوقت قد قضى باختصارها ، ومطالب ألجأ تخرج السكان دون استنزافها الى أصبارها . فاطلقنا هذه المرة فيها للقلم عنا ، وأرهفنا للتحقيق سناناً ، وأكملنا ما كان قضى ضيق الوقت بإبقائه ناقصاً ، أو بردّه عن محله ناكساً . ولسنا ندعى مع ذلك ، أننا لم نبقي في القوس منزعا ، ولم ندع الى الموضوع مرجعا ، ولا نقول ان كل مبحث قد استوفى من الاحفاء قسطه الأوفى ، فلا يجد القارئ للزيادة موضعاً . حاشا أن نقول ذلك ونحن ندرى وكل أحد من أرباب العلم يدرى ، أن كتابا يتوخى فيه صاحبه الاحاطة بأخبار العالم الاسلامى على وجهها ، والاثيان بالمسائل الاسلامية كلها من فصّها ، لا مناص من أن يملأ بالأقل ثلاثين مجلداً من قطع الجزئين اللذين ظهر بهما الكتاب في طبعته الأولى ، والأجزاء الأربعة التي يظهر بها في طبعته الحاضرة وعند ذلك يصح أن يقال ان في اللغة العربية انسيكلو بيدا اسلامية أشبه بموسوعات العلوم التي عند كل أمة من الأمم الراقية التي يقتدى بها

وهذا الأمر وهو وضع معلة اسلامية وافية ضافية ، لا يجوز أن يغيب عن نظر الحكومات الاسلامية ، التي تبغى الفلاح ، وتشد الرقي والطيران الى النجاح بجنّاح ، فانه وان كانت كتب التاريخ في الاسلام أكثر من أن يحصيها العدّ وكان المسعودى ذكر في مقدمة مروج الذهب نحواً من سبعين مؤرخاً مع أنه لم يكن مضى على الاسلام الا ثلاثة قرون ، وان كانت سعة التأليف في الاسلام أعظم من أن يتصورها العقل ^(١) وكان الذين لهم منات من التأليف في الاسلام يحصون بالعشرات ان لم يكن بالآلاف وكان الطبري يعرض التاريخ على تلاميذه في ثمانين ألف ورقة ، وكان ابن عروة الحنبلي يؤلف تفسيراً في ١٤٠ مجلداً كبيراً ، وكان المؤرخ سيديو صاحب الكتاب الافرنسي المشهور عن مدينة العرب يقول : « ان منهم كالسيوطي مثلاً - من صنف من الكتب أكثر مما قدر كثير من الافرنج أن يقرأوا في حياتهم ، وكان صبح الأعشى في عصره كتاباً نادر النظر في بابه ، فلا تقدر أن نقول ان للاسلام انسيكلوبيديا متناسبة مع مقامه بين الأمم ، أو مع الدور الذي مثله في التاريخ البشرى محشودة فيها جميع الموضوعات المتعلقة بالاسلام والمسلمين ، بحيث يستغنى بها الباحث عن مراجعة المئات والألوف من المصنفات » . فهذا الذي ينبغي للمسلمين أن يهتموا بازاحة غلته

(١) سبق لنا مقالة منذ ثلاثين سنة في مجلة « المشرق » اليسوعية في بيروت عنوانها « سعة التأليف في

الاسلام » أتينا فيها بأمثال مدهشة في هذا الباب

وسد حاجته ، وإن يكون إلا بتأليف لجان يكون فيها نخبة من الأفراد المتخصصين كل في فنه والأفذاذ المبرزين كل بين أهل قرنه ، ولا تقدر على ذلك في رقعتنا الشرقية اليوم إلا الحكومات والدول فأما الأفراد فليسوا له بمقرنين . وكذلك ليس في العالم الاسلامي جمعيات خيرية ولا علمية تستطيع أن تبذل البذل الذي يسد هذه الخلة وإن وجد فلا يزال في مهد الطفولية .

أما كتابنا هذا في أجزائه الأربع هذه المرة ، فإنه الى أن يتاح للإسلام حظ هذا العمل الكبير ، يكون من الكتب التي تفي بجانب من هذا العوز ، ويجوز أن يقال انه معاملة اسلامية صغيرة ، بل هو في المباحث الجغرافية والتاريخية والاحصائية عن أقطار الاسلام النائية وبقاعه المجهولة فذ في باب ، وكذلك يمتاز هذا الكتاب بالمباحث السياسية التي قبض لحررها أن يعلمها من عين صافية ، وأن يقف على الرواية الوثقى منها بطول خبرته ، وقرب سنده ، واستمرار مزاولته لهذه الأمور من ٤٧ سنة . وفيه بعد تراجم وأخبار ، لم يسجلها كتاب ولا جرى بها قلم ، فلا يجدها الناشد في غيره اذ هي نتيجة مشاهدات الكاتب وما رآه بالعين وما سمعه بالأذن وما كان له فيه أخذ ورد . وعلى كل حال ففي هذا الكتاب من الطريف ما لا يسع انكاره الجاحد ، ولا يضره مرء الحاسد . ولا شك في أن الأمة الاسلامية الناهضة الى تجديد تاريخها ، النازعة الى النماء بجميع فروعها وشماريخها ، ستفتن الى كل ما يعوزها من هذه المقاصد الجليلة ، ومن جللتها تأليف المعاملة الكبرى التي هي من ضرورات رقيتها وأشرط نموها . وبالله التوفيق ومنه نستمد الهداية الى أقوم طريق وصلى الله على النبي العربي العريق وعلى آله وصحبه وسلم ؟

شكيب أرسلان

جنيف في ١٥ ذى القعدة ١٣٥١

مقدمة الطبعة الاولى

للهرب

الجد لولية ، والصلاة على نبيه ، والسلام على كل هادي الى سوية . وبعد فان الاوربيين الذين يغورون في كل أمر ، ويختلون كل سر ، ويوسعون كل قضية درسا ، ولا يسأمون في أطراف الأرض بحثاً ولا خفصاً ، يذهبون الى ان في العالم الاسلامي حركة شديدة ، وغلينا عظيماً ، وان آسية وإفريقية ماخضتان بحوادث خطيرة يكون من الجهل تجاهلها ، ومن الخرق الاستخفاف بها . ومنهم من يغلو في تقدير هذه الحركة وتوسيع دائرتها ، فيرى الاسلام من أقصاه الى أقصاه متحسحساً للقيام ، والشرق من أوله الى آخره متحفزاً للصراع ، ويجد العالم القديم كله مستوفزاً يريد ان يقتني اثر اليابان ، ليسترد مجداً سالفاً ، ويستجد عزاً آنفاً ، ويشحط عنه كل غريب ، ويكشف كل مغير ، وان الشرقيين لا سيما المسلمين منهم ، يأبون الا استرجاع أملاكهم المغصوبة باصبارها ، واحراز حقوقهم المهضومة بحذاقها ، كما أن نفراً تراهم بالعكس ، يقولون ان الاسلام جسم متفكك الاجزاء ، متقطع الأوصال ، عاجز عن الصراع ، فاقد لأسباب الدفاع ، ينقصه العلم ، كما يعوزه السلاح ، لا يريش ولا يبرى ، ولا يقدر على ثورة ذات بال ، فمن أحق الحق وأسفه السفه أن تقيم أوروبا للاسلام وزناً ، وأن تحسب للشرق — حاشا اليابان — حساباً ، وأن تمهل الاسلام في استصفاء مايق له على الاستقلال ، الى ان تكون عصت مقادته على الراكب ، وعست قناته على الغامر ، فالأحزم والأحوط هو مضاء أوروبا في سياستها المبنية على الفتح ، غير مبالية بصخب ولا اعتراض ، ولا متحرجة عن تفجير الدماء في قمع ثورة أو منع انتفاض . ولهذا تجد هذه الفئة ممعنة في مطامعها ، مستمرة في غلوائها ، مطيعة في اختلاس الممالك دواعي أهوائها ، لاتنظر الى العواقب ، ولا تتصرف في أمر تصرف مخاذير ولا مراقب . وكان الناس يظنون أن الحرب الكونية بما أثبت به من المثالات والعبر ، وأجرته من جداول الدماء وسيول لعب ، ونزفته من أمواه الحياة ، ونسفته من أركان العمران ، وأنفدته من القناطير المقنطرة ،

وطيرته من المجاهد الموفرة ، ووضعت من الاعباء على كاهل البشرية ؛ وأورثته من الانسراق في كل عضو من أعضاء الهيئة الاجتماعية ، قد تُذنب رجال الدول الى سير القصد ، ومراعاة الحق وإيثار الرفق ، والصدوف عن ترهات الحيف ، والتكلم بغير نغية السيف ، لأنه من المقرر أن هذه الكائنة العظمى ، والطامة الكبرى ، كانت لها جلة عوامل أهمها التهافت على الاستعمار ، والتسابق على اقتسام الأقطار ، والظن بأن كل ما هو غير أوربي فانما هو آلة للاستغلال وموضوع للاستثمار . نخب أيضاً الأمل بالاتعاظ بهذه الحرب التي لم يُر التاريخ لها مثالا ، وأخطأت الفراسة بأن هذه المصائب والأحوال تلهم ساسة الدول الغربية رشداً واعتدالا . بل رانت المطامع على البصائر ، وغلب الجشع على الحجى ، وطمست الاهواء الالباب . مع أنه كان يكفي هؤلاء مثلة معاهدة « فرساي » التي لو كانت مبنية على قاعدة الانصاف لما احتيج اليوم الى لجنة الخبراء ، ولما وقع ما هو واقع وما سيقع من الخصام والمرء ، وما سيفضى يوماً الى حرب ثانية ، ومصائب تالية . وكذلك معاهدة « سقر » التي اضطر واضعوها أن يمزقوها ، بعد تلك الدماء التي أراقوها ، والبلدان التي غادروها خرابا وزرعوها أسنة وحراباً . فغ أنهم رأوا خطأهم صراحية ، ومع أن زرعهم لم يثمر إلا شوكة ، ومع أن العداوة قد لقحت من ذى أنف ، وان دواعى الحرب عادت أكثر مما بدأت ، لا يريدون أن ينتهوا عن ضلالهم القديم ، ولا أن يربعوا على ظلمهم الجديد ؛ ولا أن ينظروا الى ما عليهم من الديون المجهضة الاجال ، ولا يفكرون فيما على ظهورهم من أمثال الجبال ، وانما يعولون في حياية مطاعمهم على النيران المحرقة ، والقنابر المصعقة ، وعلى الحرب الجوية ، بأعداد الألوف المؤلفة من الطيارات التي يرونها أخصر طريقاً وأخف مؤونة وأوحى قتلا . ولا يلاحظون ما في قتل النساء والأطفال من الفظاعة التي لا تليق إلا بالمتوحشين الذين يأكل بعضهم لحم بعض ، وما في تدمير المساكن على رؤوس الأبرياء والوادعين من مخالفة دعوى الانسانية التي يزعمون أنهم حمايتها في الأرض .

فالعالم الاسلامى الذى لا يزال محور سياستهم قهره واعناته ، وتجريده من السلاح بكل وسيلة ، والحيلولة بينه وبين الاتحاد والتماسك بكل حيلة ، احتياطاً من وراء رسفاته في قيوده الحاضرة ، وأماناً على ديمومة خنوعه لسلطتهم القاهرة ، لا يصح أن يقال انه بلغ من النهضة الدرجة التي تكفل له حطم سلاسله الثقيلة ، واسترداد ممالكه العريضة الطويلة،

واستئناف معاليه الخالصة ، ومصيره مع العالم الأوربي الى حالة متساوية . ولا أدرك بهذه السنين القلائل من اليقظة ما يكفي لتجديد ما أخلق من حاله ، واستشن من شأنه ، بل لا يزال وباللأسف الجهل مخيماً على أكثر آفاه ، وما برحت العصبية الجاهلية عاملة عملها في تفكيك عراه وبعثرة أجزائه ، كما أن الرعب من سطوة الأجانب الا من رحم ربك ملء الجوانح ، واليأس من استطاعة القيام فاش في الأفكار والخواطر . وكأنه الى هذه الحالة بعينها نظر النبي ﷺ حينما قال : « يوشك أن تتداعى عليكم الأمم من كل جانب تداعى الأكلة على قصاع . قالوا : أو من قلة منا يومئذ يارسول الله ؟ قال : لا . ولكنكم غشاء كغشاء السيل يُعمل الوهل في قلوبكم وينزع من قلوب أعدائكم ، من حبكم الدنيا وكرهيتكم الموت » أو كما قال . نعم صار المسلمون ، الا الأقل منهم الى زمان لا تغنى عنهم كثرتهم شيئاً بل صارت الفئة القليلة من غيرهم تتحكم في الفئة الكثيرة منهم ، وتخبطهم بكل عصا ، وهم لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً ، وراح الأجنبي يفتح بلدانهم بهم ويسلط بعضهم على بعض ، ويقتل هذا بذلك مستفيداً من قتل الاثنين : الذي يقاتله والذي يقاتل معه . وإذا سالت أحدهم لماذا اعطاء هذه المقادة كلها واقتحام الموت في سبيل الأجنبي الذي تغلب عليه ، أجابك انه انما يساق الى الموت رغماً . والحال أن الموت الذي يخشاه في عصيان الأجنبي ، هو ملاقيه في طاعته ، فهو من خوف الموت في الموت ، ومن حذر العذاب في أشد العذاب . فلا بد لاستقلال الاسلام من زوال هذه الأوهام ، ومن انتشار المعارف التي لا تجتمع مع الذل في مكان ، ولا تبرح دون تلك الغاية مصاعب وقُحَم ، ومصائب وُعُجَم ، وليال مظلمة طوال ، ومعارك تشيب لها ذوائب الأطفال . وانما الذي يخطئ فيه سكارى العز ونشأوى الساعة الحاضرة من الأوربيين ، اعتقادهم أنها حالة ستبقى على الدهر ، وان ثلثاية وأربعين مليوناً من المسلمين سيلبثون الى الأبد رهن اسارهم وفريسة استعمارهم ، ووقود نارهم ، واعتبارهم الشرقيين عَمَلَةً يسمن الغرييون بهزاهم ، ويسعدون بشقائهم ، ويقوون بضعفهم ، ويحيون بحتفهم ، حقاً لقد تجاوزوا الحد ضلالاً وغروراً ، واستكبروا في أنفسهم وعتوا عتواً كبيراً ، وظنوا أنهم انما كتبت لهم السيادة خالصة من دون الناس وأمنوا جفوات الأيام ، وأخذوا الطريق على الفلك الدوار فلا يدور لهم الا بحسب المرام . كلا هذا منهم خيال زائل ، وهم أرق من شبح باطل ، فلن يبق الشرقيون أبداً الدهر مدّة

هينة عليهم نفوسهم ولن يصبروا أكثر مما صبروا على أن يلي أمورهم من ليس منهم ، ولا بد أن يأتى الزمن الذى يصبح كل فيه سيداً فى دياره ، مانعاً لذماره ، مساوياً فى الارض لمن ظن سلطانه سرمداً ، ودوره مؤبداً ، وعمل اليوم عمل من لا ينظر ما يكون غداً ، لا سيما المسلم الذى يقرأ كل يوم فى قرآنه ما يجعله بكل جارحة من جوارحه رجلاً ولا يرضى له بالاستقلال بدلاً ، وينفخ فيه من روح الانفة ما يصور الذل كفراً ، ويلقى فى روعه من حب العلم ما يصير الجهل وزراً ، ويحتم عليه من الأخذ بأسباب القوة ما يحيل الضعف شركاً . كلا لن يلبث الشرق لدى دول الاستعمار هو الشحمة الرقعى ، والامم التى لا تملك لأنفسها حقاً ، ولا تنفض عن أعناقها رقاً ، ولا يمكن أن يظل الاوربي سيد الارض غير مدافع وصاحب الحكم غير مزاحم متسلطاً على ما فى الدنيا من الجهات النفيسة ، مستأثراً بما بين المشرق والمغرب من الجنبات الرئيسة ، فلم يرح الدهر قلباً ، والدوام محالاً ، والتاريخ يركب الامم طبقاً عن طبق ، ويلحق من تأخر بمن سبق ، وما من بهشة الا وراءها جهشة ، وقد كذب من طمع فى صفو بلا كبر ، وصعود بلا حذر . ومن أعظم الخطا الظن بأن الشرق لا يلم على شعث ، وان آسية وافريقية لن تنهضا من عثار وهما ثلثا العالم ، ولقد سار الشرق فى مدة وجيزة عقبات جديداً ، واجتاز أزمات شداداً ، وهو ماض فى سيره الى الامام لا سبيل بعد اليوم الى تعويقه ، ولا حاجز يمكن أن يقف فى طريقه بدسائس تلقى ، ومبالغ سرية تنفق ، وأخلاق تُفسد ، وذمم تُشربى وأشرار تُبث ، وأسياف تُسل . ولا المحلقات فى الجو تقدر على كم الأفواه ، ولا الغازات السامة تقوى على إطفاء نور الله ، وما تزيد هذه الوسائل تلك الأمم المستضعفة الاشوقاً الى الحرية ، ونداء الى الثارات واصراراً على الضغائن ، ومهما يكن من حيل العباد فلا يكون سنن هو سائر ولله أمر هو بالغه .

وقد كتب كثير من المؤلفين الأوربيين على الحركة الاسلامية بعد الحرب ، ففهم مخطئ ومنهم مصيب ، ومنهم من خلط قولاً سديداً وآخر بعيداً . ومنهم من تكهن بالشئ وأنذر بالويل . ومنهم من أحسن الظن وهُدِى الى الطيب من القول . ولا شك فى كون خيرة ما أُلِف فى هذا الباب ، ونبله ما خيض من هذا العباب ، هو الكتاب المسمى « بالعالم

الاسلامى الجديد ^(١) « تأليف العلامة الحضيف البليغ المستر ستودارد الأمريكى الذى أخرجه كتاباً جامعاً وشهاباً لامعاً ، وحصيلة بحث دقيق ، ونتيجة احفاء عميق ، فهو فى هذا الموضوع أفضل المؤلفات على التحقيق . توخى صاحبه العدل فى الحكم والاعتدال فى الوصف والوقوف عند اعتراض الشك ، وأبى القاء الكلام على رُسَيْلَاتِهِ وازناً الأمور بميزانها غير مقصّر ولا مشطّ ، ولا مفرط ولا مفرط وهو الأمد الذى يكبو دونه جواد غيره من المصنفين ، والغاية التى لا تتاح الا للافذاذ من صميّابة المحققين . وضعه محرره باللغة الانكليزية وترجه بعضهم الى الفرنسية وربما ترجم الى غيرها من اللغات الاوربية ، ونقله أحد ألباء الترك الى التركية ، ولكن أكثر من أعجب بهذا الكتاب هم ألباء العرب ، فقد تبارى عدة من أفاضلهم فى تعريبه خدمة لقومهم ونصحاً ، وانبرت أقلامٌ مرهفة لجلاء عرائسه على منصة هذه اللغة الفصحى ، وانما سبق غيره الى الاتمام ، الشاب الأديب الكاتب الناهض عجاج افندى نويهض ، فأبرزه فى حلة من نسيج الضاد تشد بها نُطق النطق ، وتقرن بها حلاوة العبارة بلسان الصدق . وكان قد كتب الىّ فى العام الماضى وأنا فى أوروبا يلتمس منى تصدير هذا الكتاب بمقدمة تليق بمقامه الخطير ، وتكون فى أوله مقدمة وهى فى الحقيقة من ورائه ظهير ، وكنت قبل ذلك اطلعت على هذا الكتاب ووقفت على ما فيه من جلال مناح ، وسداد آراء ، وسمعت حسن الاحدوثة عنه ممن يعرفون الحجر من الخلل من القراء ، فرأيت له لاضطراره الى الاجال ، وعدم تعرضه لكثير من المسائل الاعلى سبيل الايماء ومن قبيل الاستشهاد ، يحتاج فى بعض المظان الى الاكمال أو الايضاح . فعلقت عليه مما أملاه الخطر الفاتر حواشى رجوت أن تكون طرازاً لحبره ، ونظاماً لدرره ، وأوردت فيه من أخبار العالم الاسلامى ما لا يزال مجهولاً عند أكثر المسلمين ، ومعظم الشرقيين ، بعلة تنائى البلاد وتراخى الابعاد ، وضرب الدول المستعمرة بالاسداد فكانت طريقتى فى هذه التعليقات ترك ما استفاد العلم به وتواتر الخبر عنه ، ولو كان فى حد ذاته جللاً الى البحث عما خفى شأنه ، وعمى خبره ولو كان أمره قُرُطاً ، فاعتنيت بقدر الطاقة

(١) هو بالانكليزية The New World Of Islam وقد رأينا أن ترجمته ب « حاضر العالم الاسلامى » أوفى بالمراد فى العربية وأدل على الغرض من العالم الاسلامى الجديد ، أو العالم الاسلامى الحديث ، أو عالم الاسلام الجديد ، أو عالم الاسلام الحديث . (المترجم)

بتحرير المواضيع الغامضة والمسائل الغريبة ، وتحريت أنباء الاصقاع النائية ، دون البلدان القريبة . اذا من فائدة في البحث عن قضايا تساوى الخالص والعام في فهم معناها وسرد أخبار لم يبق قصري ولا عمي الا رواها أو علم خواها ، فتحاشيت في هذه الحواشي التواريخ المشهورة المكررة ، والمعلومات التي في كل يوم منها خبر في الصحف المنشرة ، فجاءت بأبكار من المواضيع لم تجلها الاقلام لحدثة عهدها وأخرى من أخبار زوايا من بلاد الاسلام عميت أحوالها لانقطاعها وبعدها ، وقد اخترت فيها كلها التلخيص اذ لو أرخى فيها الكتاب عنان القلم لما حوتها اجلاد ، ولا وفي بها جلد ولا اجتهد . هذا وان رأينا الذي نعول عليه أولاً وآخرأ ، ونرجع اليه باطنا وظاهرا ، ان الشرق أجمع سينتبه من رقدته ، وينهض من كبوته ، وانه كما شهد القرن التاسع عشر استقلال أميركا بأسرها ، فسوف تشهد بقية القرن العشرين استقلال آسية بعروتها وزررها ، وانه لا تمضي الثمانون سنة الباقية لهذا هذا القرن حتى يلي الاسلام بلاده ، ويبلغ من نعمة الاستقلال مراده ، ليس هناك كهانة ولا عرافة ، ولا هي مقاصد تدرك بالرق أو العيافة ، ولكن يُعرف المستقبل من الحاضر ، ويدل الاول على الآخر . هذا وان نهوض الشرق هو الشرط الاول في سؤدد السلام ، وراحة الانام ، وحقق الدماء الحرام ، وحفظ موازنة العالم واستواء الاقسام . ومادام الغربيون يرون الشرق لجيوشهم مجالا ، والاستعمار لدول أوربا دليلا تقفوه يميننا وشمالا ، فالحروب بين الدول قائمة متتابعة ، الى قيام الساعة ، والاختراعات التي تفتخر بها المدنية مصروفة الى استئصال البشر وناهيك مافي مدنية كهذه من الشناعة ، وما دامت جمعية الامم مثل العرّوض بحراً بلا ماء ، ما وجدت الا لتلبس الاعتداء حلة قانونية ، وتسوغ الفتوحات بتغيير الاسماء ، لا يطيعها سوى ضعيف عاجز ، ولا تستطيع أن تحكم على قوى متجاوز ، فكيف يغطي الحق بالثرثرة والحق أبلج ، وكيف يستقيم الظل والعود أعوج ، فلا مندوحة للامم الشرقية عن الاقتداء باليابان في التماس المنعة ، ومضارعة الدول الغربية في ارتياد العلم واقتباس الصنعة ، حتى اذا قرع النبع بالنبع ، ووقع النصل على النصل اقتنع كل بدياره ، وأمسك الجار عن هضم جاره ، فان المال السائب هو الذي يعلم الناس الحرام . وان الخوان الممدود هو الذي يبعث الاشتها الى الطعام . فليحرص الشرقيون من كل فريق أن يكونوا أولى قوة مانعة ، وان يوحدوا كلمتهم فيجعلوها كلمة جامعة ، فان بقوتهم خلاص الغرب والشرق ، والادالة من الحرب للسلم ومن الباطل للحق ، بحول الله وكرمه .

مقدمة المترجم

« حاضر العالم الاسلامى » كتاب حديث الوضع ، نُقل الى عدة لغات أوروبية وشرقية ، وبعد إخراج طبع غير مرة فى الانجليزية ، فذاع فى أمريكا وأوربة ، ذيو عاً عظيماً ما كان مثله لكتاب غيره فى بابهِ ، فأحلّه كثير من الساسة والمنصفين وأهل البحث والعلم المحل الأرفع ، وأقبلوا عليه ، واهتدوا به فى الاحاطة الحقّة بكثير من طبائع الاسلام ، والانقلاب الاسلامى على اختلافه فى آسنة وافريقية قبل الحرب العامة وبعدها ، واتخذوا منه عوناً على تدبر ما بين العالم الاسلامى وبين الدول الغربية المستعمرة من صلات وعلاقات ، حق التدبر . وقد شهد المحققون للعلامة ستودارد الأمريكى ، بصحة القول ، وإصابة العدل والحق فى الحكم . ومما قالته (مجلة المجلات) الانكليزية عند صدور الكتاب ان صاحبه « ارميا القرن العشرين » لكثرة مؤلفاته .

وقد رأيت فى نقل « حاضر العالم الاسلامى » الى العربية خدمة بارّة ، رجوت اذا وفقت الى القيام بها أن يتقبلها كل قارئ كريم بقبول حسن . فاستأذنت المؤلف فى الترجمة ، فأجبنى الى ذلك طيب الخاطر . وأمدنى باذن خاص منه ومن شركتى الطبع الامريكية والانكليزية فأشكر له هذا شكراً كبيراً

وبعد الفراغ من ترجمته طلبت من حضرة العربى الكبير ، والسياسى الشرقى الضليع الثقة فى الشؤون الاسلامية ، كاتب العصر صاحب السعادة الأمير شكيب أرسلان ، رعاه الله وأطال بقاءه ، أن يتفضل بكتابة مقدمة يُطرّز بها جيد الكتاب ، فتفضّل سعادته ، وهو على أسفار متلاحقة بين الشرق الأدنى وأوروبة ، بتليسة الطلب على النحو الذى مر بك فى المقدمة السابقة التى وضعها سعادته غير قاصر فضله على وشل ما طلبت ، دون فيوض الفصول الممتعة ، والتعاليق الجامعة ، التى منها ما هو تحت المتن ، ومنها ما هو وارد مستقلاً مع سبق الإشارة اليه . فجاء الكتاب بعد ذلك جامعاً للحسنتين : حسنة الوضع للعلامة ستودارد الأمريكى الغربى ، وقد بلغ من التوفيق فى كتابه علماً وتحقيقاً ، مبلغاً عز على غيره من سبق الواضعين . وحسنة المزيد من فرائد الفصول والخواشى والتعاليق ، لصاحب السعادة الأمير شكيب ، الحجة السياسى الشرقى ، جزاه الله عما بذله فى هذا السبيل خير جزاء ونفعنا بعلمه الواسع ، واضطلاعهِ الجامع . وكان الكتاب مجلداً واحداً فعدا بعد المزيد أربعة مجلدات

عجاج نوري